النهاية

التركيز هنا يتم على الأصحاح الثاني عشر من سفر "دانيآل"، والأمر يحتاج إلى قراءته. إن الصبي ابن الرابعة عشر عاما، والذي رأيناه في ألأصحاح الأول، قد صار الآن رجلا شيخا في السادسة والثمانين أو السابعة والثمانين من عمره. لقد استطاع على مدى كل تلك السنوات، أن يقف ثابتا من أجل الرب، في بيئة معادية للرب. وقد أظهر لنا بوضوح أنّ الحياة الروحية، لا تتطلب ظروفا مثالية لتنمو وتنتعش فيها. على أي حال لا توجد ظروف مثالية، في أي مكان في العالم، لكن حياة التقوى يمكن أن تنمو وتتسع، في أحلك وأصعب الأماكن؛ لذا فالذي سار مع الرب في مقتبل عمره، ها هو يسير أكثر قربا منه في شيخوخته.

أود هنا أن أُذكركم بظهور الرب يسوع المسيح، لنبيِّه المُخْلِص بجانب نهر "دجلة"، وقد أعطاه رؤيا عن الأحداث الهامة الرئيسية في التاريخ، قبل حدوثها بمئات السنين. وأكثر من ذلك، فقد جعل عيني ذلك الرجل الشيخ تنظران المستقبل البعيد؛ ليرى في نهاية الأصحاح الحادي عشر، ذلك الشرير الذي سيظهر عند نهاية العالم. رآه ملحدا تماما، ذا قوة هائلة في كل العالم، يُوقع اضطهادا عنيفا، على شعب الرب، يفوق الخيال: "ويبلغ نهايته، ولا معين له" (11: 45).

نهاية العالم

الآيات الأربعة الأولى من الأصحاح الثاني عشر، عبارة عن جزء من تلك الرؤيا نفسها، وتستمر في كشف ما سوف يحدث أثناء تلك الأيام الأخيرة. تبدأ بتأكيد أن تلك الفترة المظلمة من تاريخ العالم، بكل إرهابها لشعب الرب، إنما هي محاطة من كل جانب بملائكة الله. وليس التاريخ دون سيطرة في تلك الفترة، فالسماء ستستمر ممسكة بزمام الأمور التي تجري على الأرض. وفي الوقت الذي تمرُّ فيه الأمم بضيق، لم يسبق له مثيل، يقوم الملاك ميخائيل، الرئيس العظيم، ليحمي شعب الرب، يسندهم وينقذهم (عدد1).

الكتاب واضح، ففي تلك الفترة ستنفتح كل أبواب الجحيم ضد كنيسة يسوع المسيح. لكن: "في ذلك الوقت يُنَجَّى شَعْبُكَ كلُّ من يوجد مكتوبا في السفر" (عدد2).

أسماء شعب الله مكتوبة في سفر، أشار إليه يسوع عندما قال: "ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات" (لو10: 20). ورجع يوحنا إلى ما في هذا السِّفر، عندما كتب عن الدينونة الأخيرة في سفر الرؤيا: "وكل من لم يوجد مكتوبا في سفر الحياة طُرِحَ في بحيرة النار" (رؤ20: 15).

يوجد سفر فيه أسماء أفراد، إنها أسماء أُولئك الذين أحبهم الرب محبة أبدية وأعطاهم لابنه. هم خراف مات الراعي من أجلها، دعاها روحه القدوس للإيمان الذي للخلاص. هؤلاء أسماؤهم مسجَّلة في السماء، سيتمتعون بالخلاص المجيد، المذكور في بداية هذا الأصحاح الأخير.

وعندما تأتي نهاية العالم، فلن يكون هناك شيء آخر يهم، غير ما إذا كانت أسماؤنا مكتوبة في ذلك السفر أم لا؛ فسيرتنا وإنجازاتنا بين الناس لن يكون لها أهمية بتاتا. كل ممتلكاتنا سوف تتحطم وتدمَّر في حريق هائل. فقط قبولنا للرب هو الذي يهم.

إن يوم الاطاحة بـ"ضد المسيح" (11: 45) سيكون أيضا اليوم الذي فيه "ينزل ربنا من السماء بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله" (1تس4: 16)، وعندئذ تحدث الأمور الواردة في عدد2: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي".

سيكون اليوم الأخير يوم قيامة. والخلاص من الموت ليس مضمونا للمسيحيين المُضطهَدين، لكن عدم سيادة الموت عليهم مضمونة لا محالة. ولا يلتبس الأمر من استخدام كلمة "كثيرون" في عدد2؛ فهي طريقة اللغة العبرية لتجذب الانتباه لضخامة

العدد المقصود، لكنها لا تعني أي شيء أقل من "كل". وقيامة الكل لا تعني أن الجميع سيتمتعون بنفس النوع من القيامة؛ إذ أن يوم القيامة سيكون يوم الفصل. فالملك في مجده سيميّز أفراد الجنس البشري بعضهم من بعض، كما يُميِّز الراعي الخراف عن الجداء (متى25: 32). لن يُبْقِي قبر على ميت فيه (يو5 :28و29). فمهما كان المكان الذي رقد فيه الأموات، فسوف يُجمَعون من هناك للدينونة العظمَى (رؤ20: 13). وحسب قول المسيح، فكل فرد في الجنس البشري سيكون له أحد مصيرين: "هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي".

في الكتاب المقدس كثير من الأقوال عن الدينونة الأبدية للأشرار، لكن هذا الأصحاح يؤكد على الجزاء الذي سيناله المؤمنون المخلِصون (عدد3)؛ ذلك لأن سفر "دانيآل" كُتب أساسا لأولئك المؤمنين. ويجدر بنا أن نعرف من هم بالضبط "الفاهمون" (عدد3)، ومن هم الذين رَدُّوا كثيرين إلى البرّ؟! لكي نفهم ذلك؛ نعود بذاكرتنا إلى (11: 33)، حيث نقرأ عن أحلك العصور ظلاما تحت اضطهاد "أنطيوخوس إبيفانيس"، هناك كان الذين ينتشرون بين الناس ويرشدونهم إلى الحق الإلهي. أولئك لم يثبتوا فقط في إيمانهم، بل أيضا عملوا بكل قوَّتهم على نشر الحق، ولو طوردوا أو عُذِّبوا أو سُجِنوا أو قُتِلوا.

وفي وقت الارتداد وأثناء الاضطهاد، سيكون هناك أيضا أُناس يشبهون أولئك "الفاهمين" الذين "يردُّون كثيرين إلى البرّ"، يستمرّون في إيمانهم، وفي عمل الرب، وليكن ما يكون. فمهما قُتحت عليهم أبواب الجحيم، فلن يستسلموا. هل يستحق الأمر أن يفعلوا ذلك؟

هم، وكل من فعل مثلهم من قبل، لن يخسروا الجعالة الأبدية؛ إذ أن آلام الزمان الحاضر لا يمكن أن تقارن بالمجد الذي سيستمتعون به؛ فالجزاء الإلهي والرَّوعة الأبدية ينتظرانهم. لقد حافظوا على شعاع النور مضيئا في أوقات الظلام الحالك؛ فلابد أنهم "يضيئون كضياء الجلد وكالكواكب إلى أبد الدهور".

بمفهوم المنطق البشري، ما عملوه كان حماقة. هذا هو تقييم العالم غير المجدَّد، لنشر رسالة الإنجيل، فما بالك في الأيام شديدة الظلام؟!

لكن عندما يهلك أعداؤهم في خِزيهم، ويُحكَم عليهم بالازدراء الأبدي، فسوف يظهر كم كانت حكمة هؤلاء المبشِّرين بالبر. لن يكون جزاؤهم عابرا، بل سيكون إلى أبد الآبدين.

يقول الرب في عدد4: "واخْتِمِ السفر، يا دانيآل". هذه هي الأمور التي كشفتها لك في الرؤيا، الآن اختمها.

ذلك لا يعني أن الأمور التي أُظهرت لـ"دانيآل"، كان يجب أن تبقَى سرًّا؛ فقد كان التقليد "الفارسي" عندما يتم نسخ كتاب، ويتم توزيعه، أن تُختم نسخة منه، وتوضع في المكتبة لتقرأها الأجيال التالية. وهذا هو المتبع للكتاب الذي يَلقَى قبولا من القراء. وبهذا كان على "دانيآل" ضمان أنّ ما أُظهر له، يُعرَف، لا لجيله فقط، بل للأجيال التالية أيضا. ليست مشيئة الرب أن يجهل الناس النتيجة النهائية للتاريخ، بل يريد أن الجميع يعرفون ما سوف يحدث فيما بعد.

من أجل ذلك "كثيرون يطوفون في الأرض والمعرفة تزداد" (عدد4). إن ما سوف يحدث في المستقبل موجود في ذلك الكتاب المفتوح، وبرغم ذلك، فإنّ رجالا ونساء يواصلون السعي للمعرفة، ويجرون هنا وهناك، من أجل تحصيلها. إن المتاح الآن من المعرفة، لم يسبق أن توصل الناس إليه من قبل أبدا، لكن الجهل بما يحدث في المستقبل، لم يزل منتشرا كما كان من قبل. وفي آمالهم ومخاوفهم برهنوا جميعا، على عجزهم الكامل، في تخمين ما سيحدث مستقبلا. إنه لا يمكن أن يُعرَف سِوَى بإعلان من الله، وأهم ما نحتاج أن نعرفه، قد أعلنه لنا الرب في هذا السفر.

المسيح هو الذي سيُنهي العالم، سيُطيح بـ"ضد المسيح" ويقيم الأموات ويدينهم، ويميِّز بينهم، ويرسل كلا منا إلى مصيره الأبدي. والذين يدخلون في جزائه الأبدي هم فقط الذين أخذوا جانب الرب، وكان هو الجانب الصعب.

أحدُ أولئك الذين سينالون ذلك الجزاء، هو ذلك الشخص الذي عندما كان في الرابعة عشرة قرَّر أن لا يُغضب الله، وحاول أن يعيش كل حياته بذلك المبدأ العظيم. لم يكن ذلك سهلا، لكن الأمر كان يستحق الاحتمال. إن الكاتب المتواضع لذلك السفر من العهد القديم، هو واحد من أولئك الذين: "يضيئون كضياء الجلد .. وكالكواكب إلى أبد الدهور".

نهاية السفر

تنتهي الرؤيا الطويلة، التي أُعطيت لـ"دانيآل" عند نهر "دجلة"، بالعدد الرابع، وبدءًا من عدد 5 ندرس مشهدا لاحقا يُنهي السفر.

لقد كان الرب يسوع- بالتأكيد- مع "دانيآل" طوال وقت إعلان أمور المستقبل له. والآن يلحق به آخَران، هما زائران سماويان، يقف كل منهما على جانب من جانبي شاطيء النهر (عدد5).

لم يكن الرب نفسه على أي من الشاطئين، بل كان فوق الماء (عدد6). فهل مشيه على الماء الذي ذُكِر في الأناجيل، كان لتوجيه أنظارنا إلى هذه الفقرة؟ ولكي نعرفه بأنه هو الذي كان يكلم "دانيآل"؟!

بينما كان "دانيآل" يرى هذا المشهد، سمع واحدا من هذين الملاكين يسأل ربَّه قائلا: "إلى متى انتهاء العجائب؟" الملاك يستفسر عن زمن حدوث تلك الأحداث، التي تُنبيء بنهاية العالم.

و"الرجل اللابس الكتان"، الذي هو ربنا قبل تجسُّده، يُجيب رافعا كلتا يديه (عدد7). إنَّ رفع يد واحدة في العهد القديم يعني قَسَما جليلاً، ورفع يدين، يعني قسما جليلا غير عادي. لقد أجاب ربنا يسوع على ذلك الاستفسار، برفع كلتا يديه، وأقسم بنفسه: "بالحيِّ إلى الأبد".

وأتى الجواب: "أنه إلى زمان وزمانين ونصف زمان" (عدد7).

وهذا يتوافق تماما مع نفس المعلومات- المعطاة بالعبرية- كما أُعطيت بالآرامية في (7: 25)، حيث قيلت عن "ضد المسيح" الآتي: "ويتكلم بكلام ضد العلي ويُبْلِي قدِّيسي العلي ويظنُّ أنه يُغيِّر الأوقات، والسُّنَّة ويسلَّمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان".

ماذا يعني ذلك؟ نفسره كما فعلنا من قبل: إنه لم يَقُلْ: "سنة وسنوات ونصف سنة"، إنّ الكلام عن "أزمنة". إن "ضد المسيح" سيسيطر على العالم لزمان. وعندما يبدو أنه قد استمر طويلا، فإنه سيستمر في سيطرته على العالم ضعف ذلك الزمان، ثم يبدو كما لو أنه سيستمر ضعف ذلك الزمان، بل سيبدو أنه سوف يستمر إلى الأبد. لكنه عند هذا الحد، سيُقطَع وهو في أوج مجده، وقمة سيطرته وسلطانه. وفي ذلك الوقت يكون قد دمّر شعب الرب. وعندما "يتم تفريق أيدي الشعب المقدَّس، تتم كل هذه" (عدد7).

إن كنت أنا قد فهمت الأصحاح الحادي عشر من سفر الرؤيا بشكل صحيح، والقصة التي تتعلق بالشاهدين، فستأتي أيام تُدَمَّر فيها كنيسة المسيح تماما بقوة الشرير، وستأتي في التاريخ إلى نقطة، يبدو فيها أن الظلام قد انتصر. سيبدو "ضد المسيح" وكأنه سيبقى إلى الأبد، وكأنّ الكنيسة قد أُزيلت بالكامل.
كل ذلك قلناه من قبل، ونقوله ثانية، إنه في هذا الوقت سيُكسَر "ضد المسيح" مرة وإلى الأبد؛ لذلك يجب ألا نيأس عندما نرى الشر يتزايد. فالشرير لن يُكسر عندما يكون في وضع منخفض، بل يُكسر وهو في أوج مجده.

كل ذلك سمعه "دانيآل"، لكنه لم يزل مُتَحيِّرًا (عدد8): "وأنا سمعتُ وما فهمتُ؛ فقلتُ يا سيدي ما هي آخِرُ هذه؟"

وهنا أمر لابد أن يكون قد استرعى نظرك، فلم يكن كلام "دانيآل" مجرد ترديد لسؤال الملاك في عدد6؛ فقد استخدم كلمة عبرية مختلفة، لتعبِّر عن كلمة "آخِر" في سؤاله. فإذ قد سمع عن أيام الشر القادمة؛ استفسر عن المراحل الختامية لتلك الفترة. إن أيام الشر الموصوفة هنا، محفوظة لنهاية العالم، فماذا ستكون العلامة، التي تدل على أن تلك الأيام في طريقها إلى النهاية؟

جاء الرد الإلهي بألا يسأل عن أمور أخرى، ولا يستفسر أكثر من هذا: "لأن الكلمات مَخفيَّة ومختومة إلى وقت النهاية" (عدد9). وبمعنى آخر، كل ما تمّ إعلانه، محفوظ إلى الأيام التي قيل عنها، وليس بالضرورة لـ"دانيآل" أن يفهم ما قيل تماما؛ فليس كل ما قيل سيتحقق معه أو في زمانه، لكن عندما يلزم فهم الكلمات؛ فسوف تُفهَم.

تلك الإجابة، تكشف لنا عن الطبيعة العملية للكتب المقدسة. فالكتاب المقدس لم يُعطَ لنا لنُرضِي به فضولنا؛ لكن ليأتي بنا إلى الإيمان، وليثبِّتنا فيه؛ لنكون مشابهين صورة المسيح. إنه قد أُعطِيَ لنا، ليقدِّسنا وليغيِّر حياتنا. لكن الإجابة على تخميناتنا ليست من أهدافه.

يجب علينا إدراك أن بعض تعاليم الكتاب المقدس عن الأيام الأخيرة، لن نفهمها حتى نأتي لتلك الأيام؛ لذلك فليس من الحكمة، بل وإنه من الخطورة، أن نحدِّد جداول بمواعيد مفصَّلة للأحداث المستقبلية. إن بعض أجزاء كلمة الله لن تكون واضحة حتى تأتي الأيام التي تتحدث عنها تلك الأجزاء.

إنني شخصيا أجد ذلك التعليم مُعزِّيا جدا، خاصة ما جاء في العددين الحادي عشر والثاني عشر من هذا الأصحاح، وسوف ترى حالاً أنه ليس بإمكاني أن أخبرك بمعناها. ليس عندي مفتاح الحل لذلك، لكنني أومن أننا سنفهمها بدرجة كافية عندما نحتاج إليها.

قبل أن ننظر لهذين العددين 11و12، يجب أن نتذكر ماذا تعني كلمات الرب في عدد 10؟ إنها تتنبأ عن اضطهادات قادمة، فالناس ستُنقَّى وتُبَيَّضُ وتُمَحَّصُ. كنيسة المسيح ستجتاز عملية تنقية، وفي ذلك الوقت كل ما أُعلن سيُفهَم. الأشرار سيستمرُّون في شرِّهم، ولن يفهموا؛ إذ ليس لهم بصيرة روحية، أما الفاهمون فسيفهمون ما لم يفهمه "دانيآل" وقت إعلان الرؤيا. وما لم نفهمه نحن بعد قرون من الدراسة، سوف يفهمه "الفاهمون" آنذاك.

عندما تتفجَّر تلك الأيام المرعبة على كنيسة المسيح، فيالفرح المؤمنين في تلك الأيام؛ لأنهم فهموا الأصحاح الثاني عشر. ماذا يشجعهم عندما تنفتح عليهم كل أبواب الجحيم؟! الكتاب المقدس، تلك الصفحات القديمة ذات النمط القديم التي تحوي كلمة الله. الكلمات التي لم يفهمها أحد منا حتى الآن، ستكون لهم مصدر البركة والتعزية والقوة. يالسعادتهم! لأنهم لم يتركوا كلمة الرب من أجل أشياء أخرى.

لم يستطع أحد فهم عدد11 حتى الآن، فكل محاولة لفهمه فشلت، إنه يتكلم عن 1290 يوما. وفي الكلام عن "ضد المسيح الآتي" استخدم الرب لغة أكثر مناسبة لـ"أنطيوخوس إبيفانيس". باعتبار أن الشهر به ثلاثون يوما؛ فعلى ذلك 1290 يوما تساوي ثلاث سنوات ونصف، بالإضافة إلى شهر. ليس لديّ فكرة عن معنى ذلك، وهذا لا يسبب لي خجلا، وأثق انك أنت أيضا لا تفهمه!! لكن ما أعرفه هو، أنه مهما حدث فنحن في يد الله، فلا يمكن أن تأتي أيام على كنيسة المسيح، إلا بتوقيت إلهي. لقد جعل الله لتلك الأيام حدودا، وهي لن تستمر يوما واحد أكثر مما حدَّده الرب لها؛ لذلك فبرغم أنني لا أعرف ماذا تعني الـ 1290 يوما، إلا أنني أومن أنني أفهم جوهر

واتجاه العدد. فمهما كانت فترة الاضطهاد، الذي يُصيب شعب الرب، فإنه سيكون لوقت محدَّد، وعندما ينتهي ذلك الوقت سيتوقف الاضطهاد.

في عدد 12 نجد القول "استمر لا تستسلم، استمر إلى 1335 يوما، استمر لمدة خمسة وأربعين يوما أخرى". لست أعلم ما يعنيه ذلك أيضا، لكني أعرف أنه عندما تدخل كنيسة المسيح في فترة الاضطهاد الأخير، فإن تلك الأيام لن تستمر إلى الأبد. قد تستمر لوقت طويل، لكنه محدَّد بأمر إلهي. وأخيرا، فإن الاضطهاد سيصل إلى درجة شديدة جدا، ثم يأتي المُنتهَى.

علينا أن ننتظر خلال فترات الاضطهاد، فالكنيسة المسيحية لم تدخل أبداً اضطهادا لم يكن له نهاية. ربما تكون أيام الاضطهاد مظلمة وقاسية، بدرجة تفوق الخيال!! لكن الذين يثبتون في الإيمان للنهاية؛ يضيئون كنور الشمس مرة أخرى. وفي حالة ذلك الاضطهاد الأخير، فإن الضياء سوف يكون ضياء تمجيد المخلِّص في نهاية العالم.

يتكلم بولس عن ذلك الموضوع في (2تيمو3). إنه أصحاح عن "الأيام الأخيرة"، وهو مصطلح كتابي يشير إلى الفترة التي بين المجيء الأول والمجيء الثاني للمسيح. فهو يخبرنا أنه في تلك الأيام، ستكون "أزمنة صعبة" (1). والكلمة اليونانية المستخدمة، تعني أنه يشير إلى فترات في التاريخ يفلت فيها الزمام للشرور. فالفترة الزمنية التي بين المجيئين للمسيح، ستتميَّز بموجات تفشِّي الشرور. ثم يخبرنا بولس أن الأشرار في تلك الفترات الشريرة "لا يتقدمون أكثر" (9). مهما طال نفق الظلام والشرّ، فله نهاية. وكذلك الحال بالنسبة لذلك النفق الأخير، فكلما نختبر انفلاتاً شديداً لقُوَى الشرّ، لا نعرف ما إذا كانت تلك هي واحدة من موجات الشر الكثيرة، أم أنها الارتداد الأخير. نحن لسنا بحاجة أن نعرف، مهما كان الأمر فسيكون له نهاية، لكن مهمتنا تبدأ وتنتهي بكلمات الرب يسوع المسيح: "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يَخْلص" (متى24: 13).

ويأتي العدد الأخير من ذلك السفر العظيم، بعد الحث على الثبات في الإيمان: "أما أنت فاذهب". ويُكمل الرب: "إلى النهاية".

يجب ألا نستحضر صورة عقلية لوالد يقول لطفله: "اِمش الآن". إنها ليست كلمات للانصراف. الآية لا تعني: "اِذهب يا "دانيآل" عنِّي الآن، فقد انتهيت من إعطائك الرؤيا". بل بالحري: "استمر يا "دانيآل" كما أنت في حياتك الروحية".

حتى النبي الشيخ احتاج لتذكرته أن يثابر، لكن قِيل له بعد ذلك: "فتستريح وتقوم لِقُرْعَتِك في نهاية الأيام".

"دانيآل" المُخْلِص جدا، لسنين عديدة من عمره، يُقال له أن يستمر في حياته الروحية حتى يأتي موعد موته. وعن قريب سيرتاح في القبر، لكن لن تكون نهايته؛ فبعد تلك الراحة سوف ينال مكافأته. ما قد أُعد له سيكون أخيرا له؛ ليستمتع به.

لاشك أن ذلك المؤمن، من رجال العهد القديم، لم يرَ أشياء بوضوح مثلما نرى نحن الذين لنا معونة إعلانات العهد الجديد، مع ذلك فما أقوى تشجيع تلك الكلمات له!! لم يدعه الرب يترك تلك الحياة الفانية، دون أن يُطمئنه على مكافأته التي سينالها. يالها من تعزية لذلك الذي أحب الرب إلهه أولاً، على مدار حياته، ولذلك تجاسر أن يقف وحيدا. لا أحد يحيا حياة تقية ويهرب من الاضطهاد والصعاب في هذه الحياة؛ فالبيئة دائما معادية، لكن بكل تأكيد، لا أحد يحيا حياة تقيّة، تضيع منه مكافآت السماء.